يعهد به كثيراً إلى أجهل الناس وأقلهم احتراماً في النفوس ، لأن الخطابة في نظر ديوان الأوقاف هنا وظيفة رسمية تؤدى بعبارة تحفظ من ورقة فتلقى على المنبر او تقرأ في الصحيفة ككنس المسجد يقوم بها أي رجل ، وفي نظر طلابها حرفة ينال بها الرزق . فهمّ الديوان في الخطيب أن يكون قليل الإجرة لتتوفر أموال الأوقاف فيوضع مـــا يزيد منها عن النفقات التي لا تفيد المسلمين في خزائنه او خزائن البنك . وقـــد اجتهد الاستاذ الإمام رحمه الله تعالى في إحياء هذا الركن الإسلامي يجعل الخطابة خاصة بالعلماء الأعلام فوقفت السياسة في طريق مشروعه مدة حيـــاته ولعلها تتنحى فينفذ بعد موته .

١٧٦

أسئلة من دمياط

قصة المولد النبوي[١]

من الشيخ محمد عبد الفتاح المدرس ببعض مدارس دمياط قال : بعد الثناء والتحية : جاء الى مدينة دمياط ليلة النصف من شعبان رجل (من الأشراف) المنتسبين للعلم ، وقصد أشهر مسجد ومدرسة دينية بها (جامـــع البحر) حيث اجتمع خلق كثير لرؤية ما أعده أرباب الطرق به من الاحتفال بهذه الليلة ، وبعد صلاة العشاء أخذ القوم مجالسهم ، فقام هذا الرجل وجلس على كرسي مرتفع أعد لتدريس شيخ العلماء (وقد قرأ عليه هنا درسين فقيد الاسلام والشرق المرحوم الشيخ محمد عبده حينما كان بمصيف رأس البر في السنة الماضية) وابتدأ يسرد فوائد جمة لسماع قصة المولد النبوي ، ثم سرد ما لا أذكر منه على كثرته غير ما يأتي :

---

(١) المنار ج ٨ (١٩٠٥) ص ٨٦١ - ٨٦٤ .

س ١ – ان أول ما خلق الله نور نبينا ﷺ ومنه استمدّ جميع مخلوقاته .

س ٢ – ان الله تعالى حينما زوج آدم بحواء قام في الملائكة خطيباً معلناً بذلك ، ثم فرض عليه صداقاً صلاته على النبي ﷺ مائة مرة ، وقد صدع بالأمر ، غير انه لم يستطع إكمال العدد بل انقطع نفسه عند اتمام السبعين ، فأقاله الله من الباقي وجعل ذلك سبباً في جعل الصداق قسمين مقدّم ومؤخر .

س ٣ – ان جميع الوحوش البرية والبحرية بشر بعضها بعضاً ليلة الحمل بالنبي ﷺ ونطقت بذلك بلسان عربي مبين .

س ٤ – ان مريم حضرت ليلة ولادة النبي مع سارة وآسية لأنهن زوجاته في الجنة .

س ٥ – ان العلماء اختلفوا في أمر آسية ، فقيل انها لم تكن ماتت الى هذا الحين لأنها رفعت الى الجنة حين استغاثت بالله من فرعون وعمله ، وقيل ان الله أحياها لهذا الغرض والأول أصح .

س ٦ – ان من يعتقد ان أحد الأنبياء ولد من الفرج يكون كافراً لأنهم جميعاً ولدوا من ثقب في الجنب الأيسر .

س ٧ – ان النبي وجميع الأنبياء أحياء في قبورهم حياة كحياتنا هذه لقول النبي ﷺ : أنا في قبري حي طري . وقوله : نحن معاشر الانبياء أحياء في قبورنا .

ومن الأدلة المحسوسة (تأمل) على ذلك ان علياً رضي الله عنه حمل زوجته فاطمة بعد موتها على يديه وأتى بها الى القبر الشريف . وقال : يا رسول الله هذه فاطمة الزهراء بضعتك الطاهرة قد جادت بروحها الى

الله في هذا اليوم ، وقد جئت بها اليك لتزورك فانفتح القبر (سبحانك بهتان عظيم) ومـــد النبي يديه فتلقاها من علي وأضجعها بجانبه وقيل انه ردها اليه فدفنها بالبقيع ولذلك ترى الناس يزورونها بالمكانين عملاً بالروايتين .

وان سيدي أحمد الرفاعي حين زار القبر الشريف أنشد هذين البيتين :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عـني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمدّ النبي يده الشريفة اليه أمام الحاضرين فقبّلها .

س ٨ — ان عـــدد الأنبياء ونجوم السماء كعدد شعر لحية النبي ﷺ ١٢٤،٠٠٠ .

هذا يا مولاي قليل من كثير مما قصه هذا الرجل في تلك الليلة أمام المئات من المسلمين عامتهم وخاصتهم ، وفضيلة شيخ العلماء ساكت لا يبدي أقل اعتراض على هـــذا الكلام مع ما عرف عنه من الغيرة على الدين ومحاربته لمثل هذه العقائد التي حشرها القصاصون في الدين فشوهوا بها وجهه الجميل .

لو كان هذا الرجل من العامة لسكتنا ولكنه معدود ضمن العلماء في قرية المنزلة ، وقد خطب أمام أمير البلاد هناك وصلى خلفه فريضة الجمعة سمعت ذلك من بعض أهل المنزلة .

وقد رفع حضرة الفاضل مكاتب المقطم أمر الرجـل الى فضيلة شيخ الأزهر وطلب منه إعلان رأيه في جميع ذلك وما نظنه إلا مبرئاً للدين من هذه الأضاليل وسيكتب جواب فضيلته بجريدة المقطم . وكتب حضرة

الفاضل مُكاتب البصير يجميع ذلك الى جريدته . أما مُكاتبي الجرائد الاسلامية فلم يكتبوا شيئاً من ذلك . لهذا نرجوكم توضيح رأيكم في ذلك خدمة للدين وأهله والسلام .

ج – لو أن مدرساً عالماً مفسراً محدثاً على صراط السلف الصالح قعد مقعد ذلك الرجل المختلق على الله ورسوله ودينه ونهى الناس عن بعض البدع الفاشية ، والظلمات الغاشية ، وفسر لهم النصوص التي تنهي عن جعل الصالحين لله أنداداً ، وجعل قبورهم أعياداً ، والأحاديث التي تلعن الذين اتخذا القبور مساجداً ، وشرفوها وأوقدوا عليها السرج ، وهداهم الى رفض البدع ، والوقوف عند حدود السنن ، لزلزلت به الارض زلزالها ، ووجهت اليه العامة أنكالها ، ولوجد ممن يعرفون بالخاصة من ينصر الجهلة عليه ، ومن أصحاب الجرائد التي تدعي اسلامية من يفوق السهام اليه ، ولكادت له السياسة ، وناصبته منصات الرياسة . أما أمثال هذا المدرس فكثيرون لا سيما من المسجد الحسيني في العاصمة حيث يكثر تردد العلماء ، والمحافظين على الرسوم الدينية من الكبراء ، لا سيما في شهر (رمضان) . ومن هؤلاء المدرسين من يبيع البطائق للنجاة من النار ، ويعلم الناس مكفرات الأوزار ، ومنهم من يبيع النشرة والحجاب ، لقضاء الحاجات وشفاء الأوصاب ، ومنهم من يدلي الناس بغرور ، ويحوّلهم عن النور الى الديجور ، ولا منع ولا استنكار ، ولا تعجب ولا استكبار ، وقد صاح من سنين صائح بهذه البدع ففرقها بتفريق الناس عنها ، ودعا الى السنة الصحيحة فجذب اليها وأدنى منها ، فاضطرب لصيحته سدنة القبور ، وأكلة ما يقدم اليها من الهدايا والنذور ، ووسوسوا في شأنه لبعض المتحمسين من العوام ، وقالوا انه ينكر نفع عمود الرخام ، (هو عمود من أعمدة المسجد الحسيني ينسب الى السيد البدوي ويستشفي الناس بالتمسح به) وينكر صحة حديث « لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه » ، ويقول بجهالة من اختلقه بزعمه ووضعه ،

فتألب الناس على داعي السنة ، وكاد يبتلي بما ابتلى به الأئمة من المحنة ، فلا تعجبوا لما سمعتم فمثله كثير ، والأمر لله العلي الكبير .

أما المسائل التي لخصتم بهـــا قول ذلك المدرس ، فبعضها باطل باجماع المسلمين ، لم يقل به أحد منهم يعتد بقوله ، ومنها ما جاءت فيه روايات كاذبة أو واهية أو لا يحتج بهـــا في أمر اعتقاد يشترط الإذعان له في صحة الإيمان أو يعد إنكاره كفراً ، ولا في الأحكام التي يكتفى فيها بالظن ، وإنما تساهل الجماهير بمثله في باب الفضائل والمناقب . وما اختيار الناس أمثال هذه الروايات في قصة المولد إلا لجهلهم بما أعطى الله خاتم الرسل والنبيين ، من المزايا التي فضل بهـا الأولين والآخرين ، جهـلوا الفضائل الواضحة اليقينية ، فاستبدلوا بها تلك الأقاويل الواهية والوضعية ، وقلما تجد في هؤلاء الغالين في الاطراء عالماً بالحديث يعرف مـا صح منه وما لم يصح ، أو عالماً بأصول العقائد يقيم البرهان عليها ويقدر على الدفاع عنها ، أو عاملاً متبعاً لهدي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم معتصماً بالاخلاص والتقوى . إن هم إلا أصحاب أوهام ، وشقاشق يتقربون بها من العوام ، واننا نشير إلى أجوبة تلك الأسئلة بالتفصيل الذي يتسع له الباب .

١٧٧

مسألة خلق كل شيء من نور النبي ﷺ وأول من خلق الله[1]

ج ١ – قولهم إن أول ما خلق الله نور نبينا ﷺ لا تكاد تجده في غير هذه القصص التي يسمونها الموالد إلا قليلاً ، ويروونه عن عبد الرزاق ،

---

(١) المنار ج ٨ (١٩٠٥) ص ٨٦٥ - ٨٦٩ .

وليس في الأيدي نسخة من جامعه أو مصنفه ، ولا هو مما يتلقاه أهل هذا العصر بالرواية فيعتد بنسبته إليه ، فالعمدة في قبول ما خرجه رواية الحفاظ بعده عنه ، وأجمعهم للأحاديث الحافظ السيوطي ، ولم يذكر هذه الرواية في الخصائص الكبرى التي جمع فيها كل ما ورد في خصائصه عليه الصلاة والسلام من صحيح وغير صحيح ، ولا في الجامع الكبير أو جمع الجوامع ، وهو الذي قال أنه لم يترك حديثاً مروياً إلا أودعه فيه ، وإنما أورد الروايات في كونه ﷺ كان نبياً بين خلق آدم ونفخ الروح فيه ، ولا شيء منها في الصحيحين ولا في السنن الأربع ، وأقواها حديث ميسرة الفجر عند أحمد والبخاري في تاريخه (لا في صحيحه) والطبراني والحاكم والبيهقي وأبي نعيم قال : متى كنت نبياً ؟ قال ﷺ : « وآدم بين الروح والجسد » . وحديث العرباض بن سارية عند أحمد والحاكم والبيهقي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته » .

قال في المواهب : وأما ما اشتهر على الألسنة بلفظ : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ، فقال شيخنا العلامة الحافظ أبو الخير السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة : لم نقف عليه بهذا اللفظ انتهى . قال الزرقاني في شرحها : أي انتهى ما نقله من كلام شيخه ، وبقيته « فضلاً عن زيادة : وكنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين » قال شيخنا — يعني الحافظ ابن حجر — في بعض الأجوبة عن الزيادة أنها ضعيفة ، والذي قبلها قوي ، ولعله أراد بالمعنى ، والا فقد صرح السيوطي في الدرر بأنه لا أصل لها ، والثاني من زيادة العوام وسبقه لذلك الحافظ ابن تيمية فأفتى ببطلان اللفظين ، وأنهما كذب ، وأقره في النور ، والسخاوي نفسه في فتاويه أجاب باعتماد كلام ابن تيمية في وضع اللفظين قائلاً : وناهيك به اطلاعاً وحفظاً أقر له بذلك المخالف والموافق . قال : وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا ، وقد

قال فيه الحافظ الذهبي : ما رأيت أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه ولسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة . انتهى .

وقد فسر بعض العلماء المتقدمين أمثال هذه الأحاديث بأنها أخبار عما في علم الله تعالى ، ولم يرضه التقي السبكي . قال السيوطي في الخصائص[1]:

« فان قلت أريد أن أفهم هذا القدر الزائد فإن النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجوداً . وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله ، وإن صح ذلك فغيره كذلك ؟ (قلت) : قد جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد ، فقد تكون الإشارة بقوله : « كنت نبياً » الى روحه الشريفة أو إلى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها ، وإنما يعلمها خالقها ومن أمده بنور إلهي . ثم إن تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء ، فحقيقة النبي ﷺ قد تكون من قبل خلق آدم آتاه الله ذلك الوصف بأن يكون خلقها متهيئة لذلك ، وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبياً » اه . المراد منه . ثم أورد بعد هذا التأويل بأنه كان نبياً نبياً في العلم الإلهي ، وهو ظاهر في حديث العرباض الذي يؤيده حديث عبدالله بن عمرو في صحيح مسلم « أن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ومن جملة ما كتبه في الذكر ، وهو أم الكتاب أن محمداً خاتم النبيين » ، والشاهد قوله أن حقيقة نبيّنا قد تكون مخلوقة قبل خلق آدم ، ولو كان هناك حديث يثبت أن نور النبي ﷺ خلق قبل كل شيء لاحتج به ولم يدع أن حقيقة الإنسان هي شيء غير روحه وجسده ويبني جوابه الثاني على احتمال أن تكون حقيقة النبي ﷺ خلقت قبل حقيقة آدم . وهذا الحافظ أبو نعيم

---

(١) جلال الدين السيوطي ، الخصائص الكبرى .

وهو قبل السيوطي لم يذكر ذلك الحديث في كتابه **دلائل النبوة** الذي جمع فيه كل ما رواه في هذا الشأن .

وإذا رجعت الى استقصاء ما رووه في خلق العالم تراهم أهملوا ذلك الحديث ، ورووا ما يخالفه كحديث عبادة بن الصامت عند أبي داود والترمذي « ان أول ما خلق الله القلم » الحديث . وهو عند ابن أبي شيبة وأبي نعيم في الحلية والبيهقي عن ابن عباس : « ان أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء يكون » ، وعند البيهقي من الصفات عن ابن عمر ، وحديث أبي هريرة عند أحمد والحاكم : « كل شيء خلق من الماء » لعل المراد كل شيء حي ، كما قال تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي »[1] . ولهذه الأحاديث أحاديث تعارضها ، وليس فيها شيء قطعي الثبوت والدلالة والقرآن صريح في أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففصلهن وخلقهن من مادة تشبه الدخان .

ثم ان لحديث عبد الرزاق تتمة فيها أن ذلك النور تجزأ مرات الى أجزاء خلق منها القلم واللوح والعرش والكرسي والملائكة والسموات والأرضين والجنة والنار ونور أبصار المؤمنين ونور قلوبهم ، فمعناه الظاهر أن الله خلق من نوره شيئاً وخلق من هذا الشيء سائر الأشياء حتى نار جهنم ، والأرض وما فيها من الجماد والنبات والحيوان ، فما معنى كون ذلك الشيء الأول نور محمد ﷺ ، الذي هو فرد من الأحياء الذين خلقهم الله في هذه الارض التي هي من أصغر الكواكب التي لا يعلم عددها إلا خالقها ؟ وما نسبة هذا الفرد الكريم الى ذلك الخلق العظيم الذي منه العرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة والسموات والارض والجنة والنار ؟ ظاهر الحديث أن المخلوقات كلها هي نور محمد ﷺ كله ، وهو من المخلوقات بالضرورة ، فما هي نسبته الى سائرها أي ما هي نسبة محمد بن عبدالله ابن عبد المطلب النبي القرشي ، الذي بعثه الله تعالى نبياً منذ نحو ثلاثة

(١) سورة الانبياء رقم ٢١ الآية ٣٠ .

عشر قرناً ونصف قرن الى جميع المخلوقات ؟ هل هو جزء منها أوكل لها وهي أجزاء له ، فيقال ان حقيقة محمد هي مجموعة الكائنات ، ومجموعة الكائنات هي محمد بن عبدالله الذي ولد نحو أربعة عشر قرناً ﷺ ؟ ثم ما معنى كون هذا من نور الله ، وإذا سلمنا بظاهر هذا الحديث فبماذا نحاجّ من نسميهم كفاراً إذا قالوا : إن واجب الوجود قد انقسم فكان هذه الانواع من الكائنات ؟ « سبحان ربك رب العزة عما يصفون »[1] « ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون »[2] .

هذا الحديث حديث جابر المروي عن عبد الرزاق لا أصل له ، وليس فيه تعظيم لخاتم النبيين ، ورحمة الله تعالى للعالمين ، بل هو مثار شبهات وشكوك في الدين يعسر تأويلها بما يقبله عقلاء الباحثين .

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل »[3] . وما الرسل إلا بشر مثلكم ، يوحى اليهم ما فيه هداية لكم ، وما البشر إلا جند قليل من جنود الله التي لايعلمها إلا هو قال فيهم : « وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً »[4] . ورفع بعضهم فوق بعض درجات وجعل أفضلهم أنفعهم لعباده ، ففضيلة نبينا ﷺ على الناس أنه اختاره من خلقه لهداية جميع الناس في طور وارتقائهم استعدادهم لاتصال بعضهم ببعض ، فهو ﷺ أنفع الناس للناس ولو كان هو الأصل لجميع المخلوقات ، وفرضنا أن هذا معقول أو أنه تعالى يكلفنا ما ليس في وسعنا أن نعقله لصرح بذلك في كتابه

---

(١) سورة الصافات رقم ٣٧ الآية ١٨٠ .
(٢) سورة آل عمران رقم ٣ الآية ٨٠ .
(٣) سورة آل عمران رقم ٣ الآية ١٤٤ .
(٤) سورة الاسراء رقم ١٧ الآية ٧٠ .

المبين ، الذي ما فرّط فيه في شيء من مهمات الدين ، أو لروي برواية صححها جماهير المحدثين ، وكل ذلك لم يكن ، فانفراد عبد الرزاق بهذا لا يكفي في القول بهذه المسألة التي لا يتصورها عقل ، ولا يشهد لها نقل ، فان عبد الرزاق وان احتج كثيرون بحديثه وروى عنه الأئمة ويجلوه قد جرحه مسلم وغيره . واليك بعض ما قالوا فيه :

قال الإمام أحمد : أتينا عبد الرزاق قبل المئتين وهو صحيح البصر ومن سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع . وقال النسائي فيه : نظر لمن كتب عنه بآخره روي عنه أحاديث مناكير . وقال ابن عدي : حدث بأحاديث في الفضائل لم يوافقه عليه أحد ، ومثالب لغيرهم مناكير ، ونسبوه الى التشيع . وقال الدارقطني : ثقة لكنه يخطىء على معمر في أحاديث . وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل سألت أبي عن عبد الرزاق يفرط في التشيع قال : أما أنا فلم أسمع منه شيئاً ، ولكن كان رجلاً يعجبه أحاديث الناس . وقال محمد بن عثمان الثقفي البصري : لما قدم العباس بن عبد العظيم من صنعاء من عند عبد الرزاق أتيناه فقال لنا : ألست قد تجشمت الخروج الى عبد الرزاق ورحلت اليه وأقمت عنده ؟ والله الذي لا إله إلا هو ان عبد الرزاق كذاب والواقدي أصدق منه . أورد الحافظ الذهبي هذا ثم قال : قلت هذا ما وافق العباس عليه مسلم بل سائر الحفاظ ، وأئمة العلم يحتجون به إلا في تلك المناكير المعدودة في سعة ما روى .

وقال الذهبي في أحمد بن عبدالله بن أخت عبد الرزاق : قال ابن حبان : كان يدخل على عبد الرزاق الحديث فكل ما وقع في حديث عبد الرزاق من المناكير فبليته منه ، وقد تقدم ذكره ، كذّبه أحمد والناس .

١٧٨

مسألة مهر حواء من آدم[١]

ج ٢ – ما ذكره في ذلك كذب صريح لا حاجة لإطالة الكلام في رده إذ لا شبهة فيه على الدين فترد ، ولا شبهة عليه هو فتكشف ، ولم ينقله محدث فينظر في سنده ، وإنما وردت رواية ضعيفة في أمره بالصلاة على النبي ﷺ ٣ مرات أو عشرين مرة .

١٧٩

بشارة الوحوش بحمله ﷺ[٢]

ج ٣ – ان الأثر الذي يذكرونه في نطق الدواب والوحوش ليلة حمله ﷺ قد أخذه واضعو قصص المولد من رواية أبي نعيم وهو منكر جداً أورده السيوطي في **الخصائص الكبرى**[٣] وأنكره مع أثرين آخرين ، وهذه الآثار الثلاثة قد جمعت أكثر المنكرات في قصص المولد ، وإننا نوردها بنصها ليعلم القراء أنه لم يصح منها شيء فلا يغتروا بأصحاب العمائم العجراء اذا قرءوها وأجازوها قال :

١ – وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال : سمعت أبي وكان من أوعية العلم قال : لما حضرت ولادة آمنة قال الله للملائكته : افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان كلها ، وأمر الله الملائكة بالحضور فنزلت تبشر

---

(١) المنار ج ٨ (١٩٠٥) ص ٨٦٩ .

(٢) المنار ج ٨ (١٩٠٥) ص ٧٦٩ – ٨٧٤ .

(٣) الخصائص الكبرى . ج ١ ص ١١٧ – ١٢٢ . – تحقيق محمد خليل هراس ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

بعضها بعضاً وتطاولت جبال الدنيا وارتفعت البحار وتباشر أهلها فلم يبق ملك إلا حضر . وأخذ الشيطان فغلّ سبعين غلا وألقى منكوساً في لجة البحر الخضراء ، وغُلّت الشياطين والمردة ، وألبست الشمس يومئذ نوراً عظيماً وأقيم على رأسها سبعون ألف حوراء في الهواء ينتظرن ولادة محمد ﷺ . وكان قد أذن لله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامة لمحمد ﷺ ، وأن لا تبقى شجرة إلا حملت ، ولا خوف إلا عاد أمناً . فلما ولد النبي ﷺ امتلأت الدنيا كلها نوراً وتباشرت الملائكة ، وضرب في كل سماء عمود من زبرجد وعمود من ياقوت قد استنار به فهي معروفة في السماء ، قد رآها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء ، قيل هذا ما ضرب لك استبشاراً بولادتك . وقد أنبت الله ليلة ولد على شاطىء نهر الكوثر سبعين ألف شجرة من المسك الأذفر جعلت ثمارها بخور أهل الجنة وكل أهل السماء يدعون بالسلامة ، ونكست الأصنام كلها وأما اللات والعزى فانها خرجتا من خزانتهما وهما تقولان : وبح قريش جاءهم الأمين جاءهم الصديق لا تعلم قريش ماذا أصابها . وأما البيت فأياماً سمعوا من جوفه صوتاً وهو يقول : الآن يردّ عليّ نوري ، الآن يحيئني زواري ، الآن أطهر من أدناس الجاهلية ، أيتها العزى هلكت . ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام ولياليهن . وهذه أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله ﷺ .

٢ – وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال : كان من دلالات حمل رسول الله ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت في تلك الليلة وقالت : حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة ، وهو أمان الدنيا وسراج أهلها . ولم تبق كاهنة في قريش ولا في قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها ، وانتزع علم الكهنة منها ، ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً والملك مخرساً لا ينطق يومه ذلك . ومرت وحش المشرق الى

وحش المغرب بالبشارات ، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً ، وله في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السماء : أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج الى الأرض ميموناً مباركاً . قال : وبقي في بطن أمه تسعة أشهر كملاً لا تشكو وجعاً ولا ريحاً ولا مغصاً ولا ما يعرض للنساء من ذوات الحمل . وهلك أبوه عبدالله وهو في بطن أمه ، فقالت الملائكة : إلهنا وسيدنا بقي نبيك هذا يتيماً فقال الله : أنا له وليّ وحافظ ونصير . وتبركوا بمولده فمولده ميمون مبارك . وفتح الله لمولده أبواب السماء وجناته فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول : أتاني آت حين مرّ بي من حمله ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال لي : يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين طراً فإذا ولدتيه فسميه محمداً . فكانت تحدّث عن نفاسها وتقول : لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ، فسمعت وجبة شديدة وأمراً عظيماً فهالني ذلك ، فرأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني كل رعب وكل وجع كنت أجد ، ثم التفت فاذا أنا بشربة بيضاء لبناً وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأضاء مني نور عال ، ثم رأيت نسوة كالنخل طوالاً كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي ، فبينا أنا أعجب واذا بديباج أبيض قد مدّ بين السماء والأرض واذا بقائل يقول : خذوه عن أعين الناس . قالت : ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت ، فكشف الله عن بصري وأبصرت تلك الساعة مشارق الأرض ومغاربها ، ورأيت ثلاثة أعلام منصوبات علماً في المشرق وعلماً في المغرب وعلماً على ظهر الكعبة ، فأخذني المخاض فوضعت محمداً ﷺ . فلما خرج من بطني نظرت فيه فاذا أنا به ساجداً قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل ، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيب عن

وجهي . وسمعت منادياً ينادي : طوفوا بمحمد شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا أنه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محي في زمنه . ثم تجلت عنه في أسرع وقت فاذا أنا به مدرج في ثوب صوف أبيض وتحته حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب واذا قائل يقول : قبض محمد على مفاتيح النصرة ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة . ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة حتى غشيته ، فغيب عن عيني فسمعت منادياً ينادي : طوفوا بمحمد الشرق والغرب ومواليد النبيين وأعرضوه على كل روحاني من الجن والأنس والطير والسباع وأعطوه صفاء آدم ورقة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل وبشرى يعقوب وجمال يوسف وصوت داود وصبر أيوب وزهد يحيى وكرم عيسى واغمروه في أخلاق الأنبياء . ثم تجلت عنه ، فاذا أنا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية ، وإذا قائل يقول : بخ بخ قبض محمد على الدنيا كلها ، لم يبق خلق من أهلها إلا دخل في قبضته ، وإذا أنا بثلاثة نفر في يد أحدهم إبريق من فضة ، وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء ، وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها ، فأخرج منها خاتماً تحار أبصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ، ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده إلي .

٣ – وأخرج أبو نعيم بسند ضعيف عن العباس قال : لما ولد أخي عبدالله وهو أصغرنا (قال الحافظ بن عبد البر في الاستيعاب : كان العباس أسن من رسول الله ﷺ بسنتين وقيل بثلاث : أقول وهذا القول مجمع عليه من المحدثين والمؤرخين ، وهذا الحديث مبني على ان العباس أسن من والد النبي ﷺ فهو مخالف لإجماع المحدثين وكفى بذلك كذباً .)[1] كان في وجهه

---

(٢) المنار ج ٨ (١٩٠٥) ص ٨٧٢ . الحاشية .

نور يزهر كنور الشمس ، فقال أبوه ان لهذا الغلام لشأناً ، فرأيت في منامي أنه خرج من منخره طائر أبيض ، فأتيت كاهنة بني مخزوم فقالت لي : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب له تبعاً ، فلما ولدت آمنة قلت لها : ما الذي رأيت في ولادتكِ قالت : لما جاءني الطلق واشتدّ بي الأمر سمعت جلبة وكلاماً يشبه كلام الآدميين ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب ما بين السماء والأرض ، ورأيت نوراً ساطعاً من رأسه قد بلغ السماء ، ورأيت قصور الشام كلها شعلة نار ، ورأيت قربي سرباً من القطا قد سجدت له ونشرت أجنحتها ، ورأيت تابعة سعيرة الأسدية قد مرّت وهي تقول : ما لقي الأصنام والكهان من ولدك هذا هلكت سعيرة والويل للأصنام ، ورأيت شاباً أتم الناس طولاً وأشدهم بياضاً ، فأخذ المولود مني فتفل في فيه ومعه طاس من ذهب ، فشق قلبه شقاً فأخرج منه نكتة سوداء فرمى بها ، ثم أخرج صرة من حرير أبيض ففتحها فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة وألبسه قميصاً . فهذا ما رأيت » اهـ .

١٨٠

حضور مريم وسارة وآسية مولده ﷺ (١)

ج ٤ و ج ٥ – أورد في المواهب الأثر الذي فيه بيان ان أولئك النسوة الطوال اللواتي جئن آمنة عند ولادتها هن : آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وبعض الحور العين وقال : « وهو مما تكلم فيه » أي طعنوا في سنده ، وكم من حديث ضعيف يورده صاحب المواهب ولا ينبه الى طعن المحدثين فيه ، فلولا ان هذه الرواية من أوهى الروايات لما قال انهم تكلموا

(١) المنار ج (١٩٠٥) ص ٩٠٢ .

فيها ، وحسبك أن السيوطي لم يذكرها في الخصائص ولا أبو نعيم في الدلائل ، فلا حاجة الى ذكر سند من رواها وتفصيل القول في جرح رجاله .

وأما ما قاله ذلك الرجل في اختلاف العلماء في أمر آسية فهو من الخرافات التي لا قيمة لها عند أهل النقل ، وهي مما ينبذه العقل . نعم ذكر في بعض كتب التفسير التي تعنى بنقل القصص أن الله تعالى رفع امرأة فرعون الى الجنة ، وعزوا هذا القول الى الحسن البصري . وهو كما قال الألوسي لا يصح ، بل هو كذب من القصاصين على الحسن .

١٨١

ولادة الأنبياء[1]

ج ٦ — ما ذكره في ولادة الأنبياء جهل قبيح لا شبهة عليه من كتاب ولا سنة ولا قول صحابي ولا تابعي ولا فقيه مجتهد ولا عالم ولا محدث ولا مؤرخ يعتد به ، وقد روى المحدثون كل ما قيل في ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صحيح وضعيف ومنكر وموضوع ، ولم تخطر هذه الفرية على بال أحد منهم ، فهي خرافة من مفتريات الجاهلين الذين يتوهمون ان الأنبياء منزهون عن الأمور البشرية وأن الولادة كما يولد الناس نقيصة لا تليق بهم . وليت شعري كيف تكون الولادة المعتادة نقيصة لمن أودع في هذا الرحم نطفة ثم كان علقة ثم كان مضغة ثم نما في بطن أمه بدم الحيض ؟ أم يقول هؤلاء الجاهلون انهم لم يحمل بهم كما حمل بغيرهم فلم يكونوا من نطف آبائهم ولا من بيوض ودماء أمهاتهم ؟ إن كانوا يقولون ان هذه السنة الإلهية في الحمل والولادة نقيصة فقد أنكروا ما ذكر الله

---

(١) المنار ج ٨ (١٩٠٥) ص ٩٠٢ - ٩٠٣ .

من خلق الانسان في أحسن تقويم . ولم يحسن في نظرهم قوله تعالى بعد ذكر أطوار الحمل : « فتبارك الله أحسن الخالقين »[1] . ومن العجائب أن يمكن ذلك الجاهل من الكلام على الناس في المسجد فيكفر المسلمين سلفهم وخلفهم ، إذ لم تخطر هذه الخرافة على بال أحد منهم ، ويحمل الاسلام والإيمان من خصائص من افترى هذه الخرافة ومن صدق بها من الجاهلين .

١٨٢

حياة الأنبياء في قبورهم[2]

ج ٧ – لهذه المسألة أصل في الروايات المنقولة ولكن ما أورده لا يصح منه شيء لاسيما الخبر الأول . وأنا أذكر هنا أشهر ما ورد في هذا الباب من الأحاديث :

الحديث الأول – عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ومن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة عليّ » . قالوا يا رسول الله : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ، يعني بليت قال : « ان الله عزّ وجلّ حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » رواه أحمد في مسنده والبيهقي في **شعب الايمان وحياة الأنبياء** وغيرهما من كتبه ، وأبو داود والنسائي والطبراني في **معجمه** وابن حبان وابن خزيمة والحاكم في **صحاحهم** ، فصححه بعضهم وتبعهم النووي في **الأذكار** وحسنه

---

(١) سورة المؤمنون رقم ٢٣ الآية ١٤ .

(٢) المنار ج ٨ (١٩٠٥) ص ٩٠٣ - ٩٠٩ .

آخرون منهم المنذري . لكن قال الحافظ السخاوي بعد ما أورد تصحيحهم وتحسينهم : « قلت ولهذا الحديث علة خفية وهي ان حسيناً الجعفي راويه أخطأ في اسم جد شيخه عبد الرحمن بن بديد حيث سماه جابراً وإنما هو تميم كما جزم به أبو حاتم وغيره وعلى هذا فابن تميم منكر الحديث ولهذا قال أبو حاتم : ان الحديث منكر . وقال ابن العربي : انه لم يثبت . لكن رد هذه العلة الدارقطني وقال ان سماع حسين من ابن جابر ثابت ، والى هذا جنح الخطيب والعلم عند الله تعالى . ثم نبه على ان ابن ماجه سمى الصحابي في كتاب الصلاة من سننه شداد ابن أوس وذلك وهم نبه عليه المزي وغيره ووقع عنده في الجنائز على الصواب .

الحديث الثاني – عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « اكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة ، وإن أحداً لن يصلي عليّ إلا عرضت عليّ صلاته حين يفرغ منها » قلت : وبعد الموت قال : « وبعد الموت ، إنّ الله حرم على الأرض ان تأكل أجساد الأنبياء فنبي الله حي يرزق » رواه ابن ماجه لكن بسند منقطع ، والطبراني في الكبير بلفظ قريب من لفظ ابن ماجه وليس فيه : « ونبي الله حي يرزق » وكذلك النميري بلفظ آخر . قال الحافظ العراقي : ان إسناده لا يصح .

الحديث الثالث – عن أنس رضي الله عنه رفعه « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » . أخرجه البيهقي في حياة الأنبياء من طريق يحيى بن أبي بكر عن المستلم بن سعيد عن الحجاج بن الأسود وهو ابن أبي زياد البصري عن ثابت البناني عنه ، ومن طريق الحسن بن قتيبة عن المستلم . وأخرجه أبو يعلى والبزار من الوجه الأول والبزار وابن عدي من الثاني والحسن ضعيف . قال السخاوي وأخرجه البيهقي أيضاً من رواية محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن ثابت بلفظ آخر قال : « ان الأنبياء لا يتركون في قبورهم

بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور » . قال : ومحمد سيء الحفظ ، اهـ . أقول حديث أنس هذا رواه ابن حبان وقال : باطـــل وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقواه في اللآلىء بشواهده .

وهذه الأحاديث الثلاثة هي عمدة القائلين بحياة الأجساد ولم يصرح بها الثالث . وهناك روايات أخرى في ان الصلاة والسلام عليه يبلغها ملك أو ترد روحه فيعرض عليها ذلك ونذكر أشهرها .

الحديث الرابع — عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملكاً أعطاه الله أسماع الخلائق ، فهو قائم على قبري إذا مت فليس أحد يصلي عليّ صلاة إلا قال يا محمـد صلى عليك فلان ابن فلان » . الحديث رواه أبو الشيخ ابن حبان وأبو القاسم التيمي في الترغيب والحارث في مسنده وابن أبي عاصم والطبراني في الكبير والبزار في مسنده وغيرهم . وفي سند الجميع نعيم بن ضَمضَم وفيه خلاف عن عِمران ، قال المنذري لا يعرف ، قال السخاوي : بل هو معروف ليّنـه البخاري (أي قال في حديثه لين أي ضعف ما) وقال لا يتابع عليه وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال صاحب الميزان أيضاً لا يعرف . هذا كلامهم في عمران وحسبك قول البخاري بلينه وعدم متابعته ، وأما نعيم بن ضمضم فقد قال الذهبي في الميزان ضعفه بعضهم ، وقال الحافظ ابن حجر انه لا يعرف لأحد فيه قولاً غير قول الذهبي هذا .

الحديث الخامس — عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلّى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشرا ، بها ملك موكل حتى يلقيها » رواه الطبراني في الكبير من رواية مكحول عنه ، وقد قيل

انه لم يسمع منه وروى له عن مكحول موسى بن عمير وهو الجعدي الضرير كذبه أبو حاتم .

الحديث السادس – عن أبي هريرة (رض) رفعه : من صلى علي صلاة جاءني بها ملك فأقول أبلغه عني عشرا وقل له لو كانت من هذه العشر واحدة لدخلت معي الجنة كالسبابة والوسطى وحلت لك شفاعتي ، ثم يصعد الملك ينتهي الى الرب الخ . ولا حاجة الى ذكره كله ، وهو مكذوب أخرجه أبو موسى المديني ، قال السخاوي: وهو موضوع بلا ريب . ومثله حديث معاذ الذي فيه : ووكل بقبري ملكاً يقال له منطروس رأسه تحت العرش الخ . قال السخاوي: أخرجه ابن بشكوال وهو غريب منكر، بل لوائح الوضع لائحة عليه : وإنما ذكرت أمثال هذا الحديث لئلا يغتر بها من يراها في الكتب التي لا يعرف مؤلفوها الحديث .

الحديث السابع – عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه « إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام » رواه احمد والنسائي والدارمي وابو نعيم والبيهقي والحلعي وابن حبان ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد، ولعل هذا اقوى ما في الباب، وإن كان الحاكم يتساهل في التصحيح حتى انه صحح بعض الأحاديث المنكرة والموضوعة واستدركها على الصحيحين . وقد حسنه غيره وعضدوه بما له من كثرة الشواهد .

الحديث الثامن – عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » أخرجه أحمد وأبو داود وصححه النووي وهو معضد وليس صحيحاً في نفسه ، ولكن له شواهد مراسيل من وجوه مختلفة . وفي الجملة ان ما ورد ابلاغ الملائكة إياه عليه الصلاة والسلام هو أقوى ما في الباب وأما ما ورد في روحه وسماعها فهاك أقوى ما ورد فيه .

الحديث التاسع – عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « ما أحد يسلم عليّ إلا رد الله تعالى اليّ روحي حتى أرد عليه السلام » رواه أحمد وأبو داود والطبراني والبيهقي وحسنه وصححه النووي في **الاذكار** ، بل قال الحافظ ابن حجر : رواته ثقات . واستدرك عليه تلميذه الحافظ السخاوي قال : لكن قد انفرد به يزيد بن عبد الله ابن قسيط برواية له عن أبي هريرة وهو يمنع الجزم بصحته لان فيه مقالاً ، وتوقف فيه مالك فقال في حديث خارج **الموطأ** : ليس بذاك . وذكر التقي ابن تيمية ما معناه ان رواية أبي داود فيها يزيد بن عبد الله وكأنه لم يدرك ابا هريرة وهو ضعيف وفي سماعه منه نظر انتهى . على ان طريق الطبراني وغيره سالمة من ذلك ، لكن فيها من لم يعرف ، اه ما كتبه السخاوي .

وقال ابن القيم : ان هذا الحديث هو الذي اعتمد عليه أحمد وأبو داود وغيرهما من الأئمة في مسألة الزيارة ، وهو أجود ما استدل به في هذا الباب ، ومع هذا فانه لا يسلم من مقال في إسناده ونزاع في دلالته .

أما المقال في إسناده فمن جهة تفرد أبي صخر به ، عن ابن قسيط عن أبي هريرة ، ولم يتابع ابن قسيط في روايته عن أبي هريرة أحد ، ولا يتابع أبا صخر أحد في روايته عن ابن قسيط . وأبو صخر هو حميد ابن زياد ، وهو ابن أبي المخارق المدني الخراط صاحب العباء سكن مصر . ويقال : حميد ابن صخر – وبعد أن ذكر الاشتباه في كون هذا الإسم لاثنين ، وحقق أنه واحد – ذكر أن يحيى بن معين واسحاق بن منصور ضعفاه ، وذكر عن أحمد روايتين : احداهما أنه قال : ليس به بأس . والثانية : قال أنه ضعيف ، ثم أطال في ذكر الخلاف في عدالته ، وحقق

ان ما تفرد به يستشهد به ولا يصح . ثم ذكر الخلاف في عدالة ابن قسيط شيخ أبي صخر ، ومنه قول مالك فيه ليس هناك عندنا : أي لا يعتد بروايته على أنه روى عنه . وقول ابن أبي حاتم : ليس بقوي . وقول ابن حبان : إنه رديء الحفظ . فان قيل : روى له الشيخان . قلنا : نعم . لكن من غير حديث أبي هريرة ، فروايته عن أبي هريرة هي محل النزاع .

الحديث العاشر – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صلّى عليّ عند قبري سمعته ومن صلّى علي بعيداً علمته » أخرجه أبو الشيخ في الثواب له من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عنه ومن طريقه الديلمي . كذا قال السخاوي قال وقال ابن القيم : إنه غريب . وذكر عن شيخه أن سنده جيد . ثم ذكر اللفظ الآخر للحديث وهو : « من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائياً وكل الله به ملكاً يبلغني » الخ. وقال : أخرجه العشاري . وفي سنده محمد بن موسى وهو الكديمي متروك الحديث ، وهو عند ابن أبي شيبة والتيمي في ترغيبه والبيهقي في حياة الأنبياء باختصار : من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً أبلغته . ثم قال : وأورده ابن الجوزي من طريق الخطيب واتهم به محمد بن مروان السدي ، ونقل عن العقيلي انه قال : لا أصل لهذا الحديث من حديث الأعمش وليس بمحفوظ ، اهـ .

أقول : هذا ما قاله السخاوي ، وقال ابن القيم : إن هذا الحديث لا يعرف إلا من حديث محمد بن مروان السدي الصغير عن الأعمش ، كما ظنه البيهقي ، وما ظنه في هذا هو متفق عليه عند أهل المعرفة ، وهو عندهم موضوع على الأعمش . ثم ذكر أقوال المحدثين في جرحه . وذكره الشوكاني في الموضوعات وقال في إسناده كذاب .

أقول هذه الأحاديث أشهر وأقوى ما روي في هذا الباب ، وقد رأيت ما لأئمة الحديث فيها من الكلام والطعن في رجالها ، ومن عرف أسانيد أمثال هذه الأخبار وتاريخ رجالها تجلى له فضل البخاري ومسلم واحتياطهما في صحيحهما . وهي في مجموعها تدل على أن الأنبياء أحياء في البرزخ ، ولكن هذه الحياة غيبية لا نعرف حقيقتها ، وليست هي كالحياة في هذه الدنيا ، كما حققه ابن القيم في كتاب الروح وغيره من المحققين . وإذا لم تنهض هذه الأحاديث حجة على ما يجب الإيمان به من عالم الغيب ، فعندنا البرهان القطعي وهو كتاب الله تعالى الناطق بحياة الشهداء عند ربهم والأنبياء أفضل منهم وأجدر بهذه الحياة ، وبما هو أعلى منها . ولكن الواجب علينا أن نفوض العلم بكيفية ذلك الى الله تعالى ، ولا نقيسه إلى أمر الدنيا كما فعل بعضهم إذ قالوا : ان الأنبياء يأكلون في قبورهم ويشربون وينكحون ، وكل هذا من الجراءة على عالم الغيب والقول فيه بالرأي . والمتبادر من قوله تعالى : « أحياء عند ربهم »[1] . أن هذه العندية أعلى من الثواء في القبور . وقد ورد فيها احاديث بأن ارواحهم تسرح في الجنة ، او تكون معلقة بالعرش ، ولا محل لإيرادها هنا ، وإنما نقول : ان الواجب علينا هو أن نعتقد أن الموت ليس عدماً محضاً ، وأن في البرزخ حياة قبل حياة الآخرة ، وكلاهما من عالم الغيب الذي نفوضه الى الله تعالى . وقد ورد في حديث ابن عباس مرفوعاً أن الرجل إذا سلم على ميت يعرفه رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام ، وقد صححه ابن عبد البر . أفنقول : ان حياة كل ميت ورد روحه إليه إذا صح ، هو كحياة الأنبياء والشهداء ؟ كلا انها حياة غيبية لا ينكرها إلا منكر البعث والآخرة ، ولا يقول فيها بالرأي والقياس إلا المتجرىء على الكذب المستهزىء بالدين والله ولي المتقين .

---

(١) سورة آل عمران رقم ٣ الآية ١٦٩ .

وأما ما ذكره ذلك الجاهل من أثر علي وفاطمة عليهما السلام فهو من اختلاق غوغاء العامة . وأما حكاية الرفاعي فقد ذكرها شارح القاموس لعلي أبي شباك الرفاعي لا للشيخ أحمد الرفاعي ، وهي من الحكايات الملوءة بها كتب القصص لا تدخل في باب الاحتجاج الشرعي وسيجيء ذكرها وذكر أمثالها في مبحث الخوارق والكرامات الذي كان آخر عهدنا ببيان أنواعه ووجوه تأويلها المجلد السادس ، وسنعود اليها ان شاء الله تعالى .

استدراك : بعد كتابة ما تقدم وطبع بعضه راجعت اسم عبد الرحمن ابن ميسرة راوي الحديث الأول وحجاج بن الأسود راوي الحديث الثالث في الميزان للحافظ الذهبي فاذا به يقول : عبد الرحمن بن ميسرة عن أبيه ضعيف ، قاله يحيى وقد وهاه ابن حبان (أي قال انه واه أي شديد الضعف) وهم حيث يقول عبد الرحمن بن بديل بن ورقاء وقواه غيرهما .

وقال : حجاج بن الأسود عن ثابت نكرة ما روى عنه فيما أعلم سوى مسلم بن سعيد فأتى بخبر منكر عنه عن أنس في ان الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون رواه البيهقي .

١٨٣

عدد الأنبياء[1]

ج ٨ – وردت أحاديث في عدد الأنبياء لا يصح منها شيء منها حديث أبي ذر عند الحاكم والبيهقي انهم ١٢٤ الفاً وان المرسلين ٣١٣ ، ومنها

---

(١) المنار ج ٨ (١٩٠٥) ص ٩٠٩ .

حديث أبي الدرداء يخالفه في عدد المرسلين ففيه انهم ٣١٥ وهو عند احمد والطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي في الأسماء . ومنها حديث أنس عند الحاكم وابن سعد انهم ثمانية آلاف نصفهم من بني اسرائيل ومنها حديث جابر عند ابن سعد وأبي سعيد عند الحاكم « اني خاتم الف نبي أو أكثر » . وروي عن كعب انهم ألف ألف واربع مئة ألف واربعة وعشرون ألفاً (اي نحو مليون ونصف) والذي عليه المحققون وذكروه في كتب العقائد انه يجب الإيمان بأن الله تعالى انبياء كثيرين هو يعلم عددهم ، وان منهم من ذكره تعالى في كتابه العزيز فنؤمن بهم تفصيلاً ، ومنهم من لم يذكرهم كما قال : « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك »[1] . وقالوا إن من عد فأخطأ فلا يخلو من ان يكون زاد في الأنبياء من ليس منهم أو نقص منهم من هو منهم من غير خبر عن المعصوم متواتر بل ولا صحيح . وأما ما قاله ذلك الرجل في شعر لحية النبي ﷺ فهو من سوء الأدب .

هكذا عم الجهل فصار الناس يكذبون على الله تعالى ورسوله ﷺ ، ويروج كذبهم في العامة لاسيما إذا كان في سياق تعظيم الأنبياء ، وما بالنا لا نعظم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ببيان ما آتاهم الله تعالى من الفضائل ولا نتخذهم قدوة ، ونمتثل قول الله تعالى : « فبهداهم اقتده »[2] وقوله : « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر »[3] ؟ إن هذا يشق على المفتونين بالدنيا ، ولكن الكذب يسهل عليهم ، ويحبب قلوب جهلة العامة اليهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(١) سورة غافر رقم ٤ الآية ٧٨ .

(٢) سورة الانعام رقم ٦ الآية ٩٠ .

(٣) سورة الاحزاب رقم ٣٣ الآية ٢١ .